مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 3 السنة: 2021
ص: 987 - 1007 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

النقل الديداكتيكي والجملة الفعليّة

الفعل الماضي في كتاب اللّغة العربيّة للسنة الأولى من التّعليم المتوسّط أنموذجا

Didactic Transfer and the Verbal Sentence
The past tense in the Arabic Book for the First Year Middle Classes Case Study

ياحي هشام *
Yahi Hicham
مخبر الدراسات المصطلحيّة والمعجميّة ، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، (الجزائر)
Dr.Yahia Fares University, Medea, Algeria
yahi.hicham@univ-medea.dz

تاريخ الإرسال: 2020/11/08	تاريخ القبول:2021/05/04	تاريخ النشر : 2021/09/02

مُلخّص البحث

حاولنا في هذا المقال الحديث عن أهم عنصر في المجال الديداكتيكي، ألا وهو النقل الديداكتيكي، نظرا للأهميّة البالغة الّتي يكتسيها هذا الأخير في إعداد البرامج، والمناهج، والكتاب المدرسي باعتباره عملية نقل وتحويل للمعارف من بيئتها العلميّة المجرّدة إلى البيئة الّتعليميّة المبسّطة لتتناسب بذلك مع خصوصيات المتعلمين وأعمارهم، وقد اخترنا كمجال تطبيقي لهذا المفهوم الفعل الماضي بوصفه مكوّنا أساسا في الجملة الفعليّة .

هذا وقد وصل البحث إلى نتيجة مُفادها أنّ معدّي ومؤلّفي الكتاب المدرسي لم يتمثّلوا المفهوم العلمي للفعل الماضي أوّلا، ولم يُوفّقوا في نقله من بيئته العلميّة إلى كتاب اللّغة العربية للسنة الأولى متوسط ثانيا، وذلك راجع لاعتمادهم على كتب النحاة الّذين جاؤوا بعد سيبويه بدل الاعتماد على كتاب سيبويه

الكلمات المفتاح : نقل ديداكتيكي، جملة فعليّة، فعل، فعل ماض .

Abstract :

In this article, we talked about the most important element in didactics which is didactic transfer, due to its importance in creating programs, curricula and school books as it is a transport and a transfer operation for knowledge from its abstract scientific environment to a simple educational one to be suitable with learners' features and ages .We have chosen the past simple tense as an applied field because it's initial in verbal phrase. The research results that the school books authors didn't get the right scientific notion for the past tense and didn't succeed to transfer it from its scientific environement to middle school first grade Arabic book. This is due mainly to their dependence on the

* ياحي هشام yahi.hicham@univ-medea.dz

grammarians books comes after Seebaweeh instead of their reference to the book of Seebaweeh itself.

Keywords: Transposal didactic , Verbal sentence ,verb , past tense .

مقدّمة :

لا يمكننا أن نتصوّر وضعية تعليمية – تعلميّة خارج المثلث التعليمي المكوّن من: المعلّم، المتعلّم، المادة التعليميّة، هذه الأقطاب الثلاثة الّتي ينبغي أن ينظر إليها وهي مجتمعة، غير منفصل بعضها عن بعض، متفاعلة، تعكس مجموعة من العلاقات، هذه العلاقات الّتي يقوم علم تدريس اللّغات (الديداكتيك) بدراستها، من خلال خلق توازن منطقي فاعل على مستوى العلاقات الّتي تربط كل قطب بالقطبين الآخرين.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ميدان التعليميّة عرف عدّة مناهج لتعليم اللّغات، حيث ظهر في بداية الأمر المنهج التقليدي الّذي اهتمّ بالمعلّم وجعله قائدا للعمليّة التعليميّة التعلميّة، ثم جاء بعده المنهج البنوي فحوّل ذلك الاهتمام إلى المادة التعليميّة، يتمّ الآن الاهتمام بالمتعلّم في المنهج التواصلي بجعله محورا للعمليّة التعليميّة التعلميّة وهكذا همّشت المادة التعليميّة وظلّت منسية مهمّشة، وذلك لأنّهم كانوا يرون بأنّها معطى بدهي مطروح، ومن ثمّة فليس هناك باعث يدعو إلى الوقوف بالتدريس عندها والاهتمام بها، وإنّما يجب الاهتمام بالمتعلّم وبطرق التدريس وتقنياته، غير أنّ العارفين والمسايرين لكلّ جديد في المجال التعليمي يلاحظون بأنّ بناء المعارف وطريقة نقلها من جهة واكتسابها من جهة أخرى جدير بالاهتمام، وهو صميم الفعل التعليمي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المادة التعليميّة الّتي نقصدها هنا ونتكلم عنها **هي(الفعل) بصفة عامة و(الفعل الماضي) بصفة خاصة**، ونحن إذ نسلط الضوء على الفعل في بحثنا هذا جزما منّا بأنّه أهمّ مكوّن في الجملة الفعليّة لذلك عمد مؤلّفو الكتب المدرسية في التعليم الابتدائي في السنوات(الأولى، والثانية، والثالثة) إلى إدراجه في نماذج كلاميّة صحيحة موجهة للمتعلّم ليسمعها وتترسخ في ذهنه ومنها يتمثّل تلك القواعد النحوية ومنها قاعدة الفعل الماضي، وهذا ما يسمّى " بالنحو الضمني"، أمّا تقديمه للمتعلم بطريقة صريحة فيبدأ في السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، وهو ما يسمى "بالنحو الصريح " ويعاد برمجة قاعدة الفعل الماضي كذلك في السّنة الأولى من التعليم المتوسّط، والّتي يُفترض فيها أنّها تتميّز عن سابقتها الموجودة في التّعليم الابتدائي من حيث كونها قاعدة شاملة لمختلف جوانب الفعل الماضي، وإلّا ما السبب

لإعادة برمجتها، ومن أجل ذلك جاء بحثنا هذا ليجيب عن الإشكاليّة الآتية ألا وهي عندما وضع مؤلّفو الكتاب المدرسي قاعدة الفعل الماضي في كتاب اللّغة العربيّة للسنة الأولى من التعليم المتوسّط، هل أخذوها كما وجدت في بيئتها العلميّة ؟ أم أجروا عليها مجموعة من التحويرات والتبسيطات؟ وقد تفرّعت عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعيّة وهي: كيف عرّف مؤلّفو الكتاب المدرسي الفعل الماضي؟ ومن أي مصدر أخذوه؟ هل أخذوه من كتاب سيبويه؟ باعتبار أنّ كتابه هو أوّل كتاب نحوي يصلنا هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ كتابه يحوي النحو العلمي الأصيل الّذي لم يتأثّر بمنطق أرسطو، أم أنّهم أخذوا قاعدة الفعل الماضي من عند النحاة الّذين جاؤوا بعد سيبويه؟ باعتبار أنّهم ألّفوا مؤلّفات نحوية تعليميّة كثيرة، أم أخذوها من عند اللسانيين العرب المحدثين؟ الّذين يُفترض أنّهم اطّلعوا على كثير من المؤلفات النحوية القديمة العلمية منها والتعليميّة وكذا النظريات والبحوث اللّسانية المعاصرة، الغربيّة منها والعربيّة وارتكزوا عليها في تأليف كتبهم، وأخيراً هل وفّق مؤلّفو الكتاب المدرسي في نقل قاعدة الفعل الماضي من مستواه العلمي كما وُرد في كتب النحاة إلى المستوى التعليمي(الكتاب المدرسي) مع المحافظة على الخصائص العلميّة لهذا المفهوم ؟ وإذا لم يوفّقوا، فما هي أسباب هذا الإخفاق ؟ وما السّبيل لتجاوزه؟.

وللإجابة عن الأسئلة السّابقة اعتمدنا على الفرضيات الآتية:

– أجرى مؤلّفو الكتاب المدرسي مجموعة من التحويرات والتبسيطات على مفهوم الفعل الماضي.

– أخذ مؤلّفو الكتاب المدرسي مفهوم الفعل الماضي من عند النحاة المتأخرين .

– لم يوفّق معدّو الكتاب المدرسي في نقل الفعل الماضي من مستواه العلمي إلى كتاب اللّغة العربيّة للسّنة الأولى متوسط.

ومن خلال ما سبق يتّبيّن أنّنا سنعتمد على المنهج الاستقرائي وذلك بتتبّع مفهوم الفعل الماضي عند سيبويه الّذي ينتمي إلى النحاة المتقدّمين، ثم نعرّج على مفهومه في الكتب التعليميّة عند النحاة المتأخرين مثل (ابن الحاجب والزمخشري ...إلخ) ثم مفهومه عند اللّسانيين العرب المحدثين، وكذا على المنهج الوصفي التّحليلي بغية وصف قاعدة الفعل الماضي الموجودة في كتاب اللّغة العربية للسنة الأولى متوسط، وتحليلها، ونقدها.

وللإحاطة وللإلمام بجوانب الموضوع سيمر بحثنا بالخطوات الآتية:

أوّلاً : مفهوم النقـل التعليمي (الديداكتيكي):

نشأ مصطلح النقل الديداكتيكي على يد Michel Verret في حقل الدراسات الاجتماعيّة، حيث نبّه هذا الأخير إلى أنّ " الإجراء التعليمي لموضوع معرفي معيّن يستلزم بالضرورة القيام بكل التعديلات الممكنة الّتي تقتضيها عمليّة الانتقال والتحويل لهذا الموضوع من بيئته المعرفيّة التّي نشأ في رحابها وهو جنين إلى البيئة المستقبلة الّتي هي الحقل الخصب لاستنبات هذا الموضوع واستثماره إجرائيّا في الوسط التعليمي الّذي هو الهدف والمآل "[1].

انتقل بعدها مفهوم النقل الديداكتيكي إلى ميدان الرياضيات عن طريق Chevallard حينما أراد استثمار البحوث النظريّة والتطبيقيّة الّتي ظهرت في مجال علم الاجتماع في ترقيّة الإجراء التحويلي في الرياضيات وتذليل الصعوبات الّتي تعيق مسار انتقالها إلى معرفة تعليميّة، وبذلك فهو قد أسّس لنشأة تعليميّة المواد حيث إنّ كل مادة مقصودة للتعلّم تستلزم تعليميّة خاصة، واستبدل الثنائيّة معلّم/متعلّم بنظام تعليمي يتألّف من ثلاثة أقطاب: المعلّم، المتعلّم، المعرفة، وهو ما سميّ بالمثلّث التعليمي إضافة مرجع، وإذا ما عدنا إلى تعريفه للنقل التعليمي فنجده يعرّفه بأنّه " مجموعة التغييرات الّتي ترافق المعرفة حينما نريد تدريسها "[2]، لأنّ المعرفة التّي يتعامل معها المتعلّم ليست هي معرفة العلماء لأنّ هذه الأخيرة هي معرفة مقصودة لذاتها وحتى تصير قابلة للتعلّم والتعليم لا بدّ أن تمر بمجموعة من التحويلات والتغييرات.

ففضل التأسيس النظري البيداغوجي للنقل الديداكتيكي يعود إذن إلى الباحث الرياضي إيف شوفالارChevallard الّذي أفرد للتعريف به كتابا قائما بذاته عنوانه:(النقل التعليمي: من المعرفة العالمة إلى المعرفة المتعلّمة)، ثم ألحقه " بمقالة هامة درس فيها بمعيّة الباحثة ماري ألبيرت جوزوا (M.A.Jouhsua) مفهوم المسافة في الرياضيات، حيث عملا فيه على فحص التغييرات الّتي طرأت على هذا المفهوم منذ لحظة ولادته الأكاديميّة سنة1906 على يد العالم فريشي، إلى حين ولوجه سنة 1971برامج الهندسة في المؤسسات التعليميّة، وقد مكنتهما هذه الدّراسة من الوقوف على التحولات الّتي لحقت الأساس النظري لهذا المفهوم طيلة تلك السنوات، ومن الاطّلاع على الاستعمالات المختلفة الّتي خضع لها من طرف حلقات تفكير وسيطة، أثناء عبوره من ميدان البحث العلمي إلى ميدان التعليم" [3].

ونظرا للمكانة الهامة الّتي يحظى بها موضوع النّقل الديداكتيكي في ميدان العلوم، وتعليميّة اللّغات، فقد كان موضوعا للبحث لدى كثير من الباحثين، فعرفوه بذلك بتعريفات عديدة، حيث عرفه بلونشي فليب Blanchet Philippe بأنّه " عمليّة مركّبة تتطلّب انتقاء وتكييف وتنظيم المعارف والممارسات

العلميّة والاجتماعيّة المرجعيّة لتصير أهدافا ومحتويات تعليميّة تبعا لحاجات وأشكال التّعلمات المستهدفة"[4]، أمّا أستولفيAstolfi فيشير إلى أنّ " تعيين عنصر ما من المعرفة العلميّة موضوعا للتّدريس يحدث تحوّلا كبيرا في طبيعة هذا العنصر في الوقت الّذي تتغيّر فيه الأسئلة الّتي يسمح هذا الأخير بالإجابة عنها وكذا الشبكات العلائقيّة الّتي يقيمـها مع مفاهيم أخرى، وبناء عليه توجد (ابستمولوجيا مدرسية) EpistemologieScolair يمكن تمييزها عن الابستمولوجيا المعتمدة في المعارف المرجعيّة Les savoirs de références "[5].

أمّا كورني Cornu وفيرنيوVergnioux فيعتبران " أنّ تعريف شوفلار ناقصا لكونه يحد كثيرا من دور المدرّس، حيث يشيران إلى أنّ النقل الديداكتيكي هو عمليّة تكييف وتحويل المعرفة العالمة إلى موضوع للتدريس تبعا للمكان، والأشخاص المستهدفين، والغايات أو الأهداف المتوخاة "[6]، وبذلك " يميّز هذان الباحثان بين ثلاثة مستويات للمعرفة وهي:المعرفة العالمة، والمعرفة المدرسيّة، والمعرفة المدرّسَة، ويؤكدان على الدّور الفعال المنوط بالمدرّس خلال هذه العمليّة "[7]، ومن خلال ما سبق يتضح بأنّ المعرفة تمر بعدّة مراحل حتى تصير معرفة مكتسبة.

1- مراحل النقل التعليمي (الديداكتيكي) : أورد الباحث عبد الرحمان التومي المغربي مجموعة من المراحل الّتي تمر بها المعرفة حتّى تصير معرفة مكتسبة لدى المتعلّم وهي : "

أ- من المعرفة العالمة الصرفة (المعرفة المتداولة من طرف العلماء المختصين) إلى المعرفة المدرسيّة (المعرفة المتداولة في التوجيهات التربويّة الرسميّة وفي البرامج والكتب المدرسيّة).

ب- من المعرفة المدرسيّة إلى المعرفة المدرَّسَة (المعرفة موضوع التّعلّم أي ما يتداوله المدرّس مع المتعلّمين).

ج- من المعرفة المدرَّسَة إلى المعرفة المكتسبة (ما يكتسبه المتعلمون فعليّا)" [8] .

ويمكن التمثيل لما تقدّم بـ : [9]

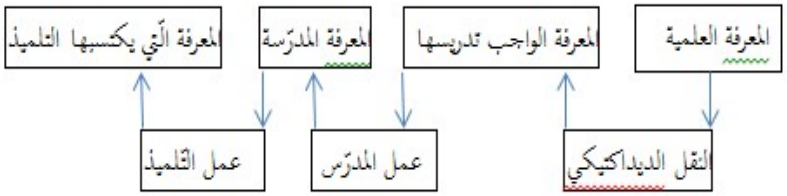

وما يهمّنا من هذه المراحل في بحثنا هذا هو المرحلة الأولى (مرحلة النقل التعليمي الخارجي) المتمثّلة في نقل المعرفة العالمة إلى المعرفة المدرسيّة، ومنه نقل قاعدة الفعل الماضي من بيئته العلميّة الأصليّة إلى كتاب السّنة الأولى من التعليم المتوسّط، وقبل أن نفعل ذلك سنرى كذلك كيف انتقل مفهوم الفعل الماضي من بيئته العلمية في مرحلته الأولى من مراحل البحث النحوي إلى المراحل البحثيّة الأخرى، فالفعل الماضي نُقِل في بادئ الأمر من كتب (النحاة المتقدّمين) – هذه الكتب الّتي تمثّل مرحلة المعرفة العلميّة والّتي تتميّز بأنّها مبنيّة على مفاهيم مجرّدة ومعقّدة ولا يمكن للمتعلّم تمثّلها لأنّها جاءت في مرحلة التقعيد النحوي، ومثّلنا لهذه المرحلة في بحثنا هذا بسيبويه – إلى كتب (النحاة المتأخرين) هذه الكتب – الّتي تمثّل المعرفة التعليميّة وتتميّز بقواعدها السهلة البسيطة مقارنة بقواعد سيبويه لأنّها جاءت في مرحلة انتهى فيها وقت التقعيد النحوي وبدأ وقت تعليم النحو، ومثّلنا لهذه المرحلة بـ :(ابن يعيش، والزمخشري...إلخ) –، وانتقل كذلك إلى (كتب اللّسانيين العرب المحدثين) الّتي ظهرت في عصرنا الحالي، ومثلنا لهذه المرحلة بـ (ابراهيم السامرائي، ومهدي المخزومي، وتمام حسان) .

ومنه فسنتتبع مفهوم الفعل الماضي في كل مرحلة من هذه المراحل قبل أن نصل إلى مفهومه في الكتاب المدرسي الرسمي، وذلك ليتسنّى لنا الإجابة عن كل الأسئلة المطروحة في مقدّمة البحث .

ثانياً : الفعل الماضي عند سيبويه :

سنتطرّق في هذا الحيّز إلى مفهوم الفعل الماضي في كتاب سيبويه باعتبار أنّ كتابه يمثّل المعرفة العلميّة كما بيّنا سابقا، وممّا لاحظه الباحث عبد الرحمان الحاج صالح أنّ سيبويه " يخصّ تحديد دلالة الفعل لا على الزمان فقط، بل على مدلول آخر مهم جدا وهو انقطاع الحدث أو اتصاله وذلك مهما كان الزمان"[10]، ولاحظ كذلك أنّ الفعل عند سيبويه عبارة عن حدث، واستشهد بمجموعة من أقواله، يقول سيبويه في وصف الفعل " الفعل الحدث "[11]، ويقول أيضا : " إذا حدّثت عن فعل (أي حدث) في حين وقوعه " [12]، ويقول كذلك " كما أنّ فيه استدلالا على وقوع الحدث " [13]، وما فهمه الباحث عبد الرحمان الحاج صالح من العبارتين الأخيرتين أنّ الفعل عند سيبويه لا يدلّ على الحدث فقط، وإنّما يدلّ على الحدث أثناء حدوثه (وقوعه)، ومن حدّه بعد سيبويه بأنّه (دال على الحدث) كما فعل النحاة المتأخرون إنّما هو " اختصار وتسامح "[14]، فمطلق الحدث إذن لا يدلّ عليه الفعل وإنّما يدل عليه المصدر، أو كما يسميه سيبويه (اسم الحدثان)، حيث يقول سيبويه في هذا الشّأن : " اسم الحدثان... إنّما يذكر ليدلّ على الحدث " [15]، ومنه فهذه إشارات مبيّنة لتصوّر سيبويه للفعل، أمّا إذا جئنا لتعريفه

لهذا الأخير فنجده يعرّفه كالآتي: " وأمّا الفعل : فأمثلته أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع " [16]، فسيبويه هنا وإن أشار إلى دلالة الفعل على الزمن إلى أنّه ميّز وفرّق بين دلالته على ذلك ودلالته على " انقطاع الحدث أو اتصاله بدون اعتبار الزمان"[17].

ومنه فسيبويه ميّز بين دلالة الفعل على انقطاع الحدث أو اتصاله دون اعتبار للزمن، وبين دلالته على الزمن، أما دلالة الفعل على الزمن وتحديدا (الزمن الماضي) فقد لاحظ الباحث عبد الرحمان الحاج صالح أنّ سيبويه عبّر عنها من خلال مقابلة الزمن الماضي بالزمن المستقبل، يقول سيبويه في هذا الشّأن: " فإذا قال: ذهب فهو دليل على أنّ الحدث فيما مضى من الزمان وإذا قال: سيذهب فإنّه دليل على أنّه يكون فيما يستقبل من الزمان ففيه بيان على ما مضى وما لم يمض منه كما أنّ فيه استدلالا على وقوع الحدث " [18]، فسيبويه قابل هنا بين الفعل (ذهب) والفعل (سيذهب) فأضاف للفعل الثاني علامة وهي (السين) في حين جرّد الفعل الأوّل منها، يقول عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الشّأن: " إنّ الّذي يقابل (سيذهب) ليس هو (ذهب) وحدها لأنّ هذه المقابلة هي قياس فلا بدّ أن يحمل كل عنصر على نظيره ونظير السين هو عدم الزيادة في صيغة الماضي" [19]، فالعلامة العدمية عند سيبويه علامة على الأصل، ومنه فعدم وجود علامة تسبق الفعل الماضي يدلّ على أنّ الفعل الماضي يدلّ على الزمن الماضي في الأصل، يقول عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الشّأن : " فعدم العلامة فيما يخصّ الماضي دليل على أنّه على الأصل إذ لم يدخل عليه شيء فلا يتغيّر مدلوله الأصلي وهو الزمان الماضي " [20]، أمّا إذا أضفنا شيئا للمبنى الأصلي للفعل الماضي فقد يتغيّر معناه حينذاك ويدلّ على أزمان أخرى، غير زمنه الأصلي، يقول عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الشّأن: " وقد يدلّ على المستقبل إن دخلت عليه زوائد كما في (إذا جاء نصر الله) أو دخلت عليه أدوات الشّرط مثل (إنْ)، أو ما يدلّ على مجرّد افتراض بدخول (لو) وغير ذلك، فمجموع الصيغة وخلو هذا الموضع من الأدوات – لا الصيغة وحدها — هو الّذي يدلّ على الزمان الماضي " [21].

ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ سيبويه ميّز بين نوعين من الزمن في الفعل أولهما الزمن الأصلي، أي زمن الفعل في أصل الوضع ويكون ذلك حين يكون الفعل (مجرّدا من الزيادة)، وثانيهما الزمن الفرعي، أي زمن الفعل في الاستعمال (من خلال ما يدخل عليه)، أو بمعنى آخر بين الزمن الصرفي الّذي هو دلالة صيغة الفعل وخلو الموضع الّذي يسبقها من الكلمات أو الأدوات أو الزوائد، وبين الزمن النحوي الّذي هو دلالة الفعل بما يدخل عليه من زوائد، من خلال تواجده في جمل ونصوص.

أمّا بخصوص دلالة الفعل على انقطاع الحدث أو استمراره دون اعتبار للزمن عند سيبويه فيمكن القول: " إنّ صيغة الفعل وحدها أي بدون اعتبار لدخول الزوائد على الفعل وعدم دخولها- مثل السين ولن ولم و(ظروف الزمان كسياق) – لا تدلّ على الزمان بكيفيّة مطلقة أبدا، بل تدلّ الصيغة في حد ذاتها على مفهومي الانقطاع وعدم الانقطاع لوقوع الحدث، وتدلّ على الزمان على ذلك بما يدخل على الفعل كما قال سيبويه... وأمّا الفعل الماضي يدلّ بصيغته وحدها على انقطاع الحدث مثل:(خرج زيد) في الزمان الماضي و(يكون قد خرج) و(إذا جاء نصر الله) في المستقبل " [22]، فالفعل الماضي وحده يدلّ على انقطاع وقوع الحدث في الماضي، أمّا إذا دخلت عليه الزوائد فيدل حينذاك على انقطاع الحدث حين وقوعه، أي في أي زمان.

ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ الفعل الماضي عند سيبويه عبارة عن حدث منقطع حين وقوعه، فقد ينقطع الحدث في الزمن الماضي إذا لم يدخل عليه ما يغيّر زمن انقطاعه وذلك هو أصله، وقد ينقطع في المستقبل إذا دخل عليه ما يغيّر زمن انقطاعه من كلمات وأدوات وذلك هو فرعه.

ثالثاً : الفعل الماضي عند النحاة المتأخرين :

سنتطرّق في هذا الحيّز إلى مفهوم الفعل الماضي عند النحاة المتأخرين، الّذين يمثّلون المعرفة التعليميّة كما بيّنا سابقا، حيث نقلوا الفعل الماضي من الكتب العلميّة للنحاة المتقدّمين مثل كتاب سيبويه إلى كتبهم التعليميّة حتّى يمكن المتعلّم من تمثّلها، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ أغلب النحاة المتأخرين تأثّروا بمنطق أرسطو لذلك جاءت تعريفاتهم للفعل بصفة عامة والفعل الماضي بصفة خاصة بعيدة عمّا قصده سيبويه من أنّ الفعل حدث منقطع أو متّصل حين وقوعه، وأنّ الفعل الماضي حدث منقطع حين وقوعه، فهم بذلك لم يوفّقوا في نقله إلى كتبهم التعليميّة، حيث حدّ أغلبهم الفعل بأنّه حدث مقترن بالزّمن، أو أنّه دال على حدث وزمن، وحدّوا الفعل الماضي بأنّه دال على معنى وزمن ماض، أو حدث مقترن بالزمن الماضي، وفيما يلي تحديد الفعل الماضي عند بعض النحاة المتأخرين :

حدّ ابن السراج (ت 316 هـ) الفعل بأنّه ما دل على معنى وزمان، قائلا: " الفعل ما دلّ على معنى وزمان، وذلك الزمان، إمّا ماض وإمّا حاضر، وإمّا مستقبل، وقلنا وزمان لنفرّق بينه وبين الاسم الّذي يدلّ على معنى فقط " [23]، وحدّ الفعل الماضي بقوله:" فالماضي كقولك: (صلى زيد)، يدلّ على أنّ الصّلاة كانت فيما مضى من الزمان " [24]، وما نفهمه من تحديد ابن السراج للفعل الماضي هو أنّ الفعل الماضي يدل على معنى وزمن ماض، ولم يتطرّق في تحديده للفعل الماضي إلى انقطاع الحدث حين وقوعه، ولم

يتطرّق كذلك إلى أنّ ما يدخل على الصيغة هو ما يحدّد ويدلّ على الزمن كما رأينا عند سيبويه، وسار أغلب النحاة الّذين جاؤوا بعده على خطاه، ولم ينتبهوا إلى ما قصده سيبويه، فهذا الزمخشري (ت538 هـ) يحدّ الفعل كالآتي:" الفعل ما دلّ على اقتران حدث بزمان" [25]، ويحد الفعل الماضي بقوله:" الفعل الماضي هو الدّال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك "[26]، وهذا ابن الحاجب (ت646 هـ) يحدّ الفعل بقوله:" الفعل ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة " [27]، ويحدّ الفعل الماضي بقوله:" الفعل الماضي ما دلّ على زمان قبل زمانك " [28]، ويحدّد ابن عصفور (ت 669 هـ) الفعل قائلا: " الفعل لفظ يدلّ على معنى في نفسه ويتعرّض ببنيته للزمان" [29]، وأما ابن يعيش (ت 634) فيعرف الفعل قائلا: " الفعل كلمة تدلّ على معنى في نفسها مقترنة بزمان"[30]، أمّا تقسيمه للأفعال فهو تقسيم مبني على أقسام الزمان ويظهر من خلاله تأثّره الواضح بما قاله أرسطو حيث نظر إلى أزمنة الأفعال من منظور المناطقة، قائلا : " لما كانت الأفعال مساوقة للزمن، والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل وذلك من قبل أنّ الأزمنة حركات الفلك، فمنها حركات مضت، ومنها حركات لم تأت ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية، كانت الأفعال كذلك ماض ومستقبل وحاضر " [31]، كانت هذه نظرة ابن يعيش للفعل، وكذا تقسيمه للأفعال، أمّا تحديده للفعل الماضي فحدّه كالآتي: " فالماضي ما عُدِمَ بعد وجوده، فيقع الإخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده وهو المراد بقوله الدّال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك " [32] وهنا يظهر تأثّره الواضح بمنطق أرسطو إذ يحدّد الفعل الماضي بمحدّدات فلسفيّة لا لغويّة.

وهكذا وبعد أن عرضنا جملة من التعريفات الّتي تخصّ الفعل بصفة عامة والفعل الماضي بصفة خاصة عند بعض النحاة المتأخرين، يمكننا القول إنّ المادة الأصليّة عندهم تدلّ على الحدث وصيغة الماضي تدلّ على الماضي، في حين رأينا أنّ الفعل عند سيبويه حدث حين وقوعه منقطعا، أو متّصلا، والفعل الماضي حدث منقطع حين وقوعه، ولعلّ سبب عدم تمييز النحاة المتأخرين بين دلالة الفعل على الزمن ودلالته على انقطاع الحدث أو اتصاله مهما كان الزمان هو " الجزم ابتداء من ابن السراج بأنّ الفعل يدل بلفظه على الحدث وبصيغته على الزمان والدلالة على الزمان بدون قيد هو بسبب تأثّرهم العميق بما قاله أرسطو بتحديده للفعل بطريقة غير دقيقة، ولم يتفطّنوا إلى تمييز سيبويه بين الدلالة على الزمان والدلالة على انقطاع الحدث أو اتصاله بدون اعتبار الزمان " [33]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا القول إنّ تقسيم النحّاة المتأخرين للفعل " على أساس حركات الفلك بتخصيص كل قسم منه بقسم من الزمان

جعلهم يواجهون صعوبات كثيرة في تفسير استعمالات الفعل في غير ما خصّوه به من زمان معيّن...كاستعمال...الماضي في المستقبل بعد (إذا) وغيرها من أدوات الشّرط، نحو قولهم (إذا جاء نصر الله والفتح)، واستعمال الماضي استعمال الأمثال لا للدلالة على الزمان الماضي أو على زمان معيّن، بل للدلالة على أنّه كان قد حدث ويمكن أن يحدث، كقولهم روت الرواة، واتّفق النحاة، واستعمال الماضي للدلالة على أنّ الحدث وقع في أثناء الكلام، نحو: نشدتك الله، وعزت عليك لما فعلت كذا، إلى غير ذلك من الاستعمالات الّتي واجهوها، وكان عسيرا عليهم أن يوفّقوا بينها وبين ما زعموا لأقسام الفعل الثلاثة من أزمنة خاصة بها " [34]، ويجدر بنا القول في هذا السياق كذلك أنّه عندما نسب النحاة المتأخرون "المضي دائما إلى صيغة (فعل)...نظروا في الجملة الخبرية المثبتة والمؤكّدة فلم يجدوا هذه الدلالة الزمنيّة تتأثّر تأثّرا كبيرا بعلاقاتها بالسياق، ولكنّهم عند نظرهم إلى الجملة المنفية وجدوا المضارع المنفي قد يدلّ على المضي، وحين نظروا في الجملة الانشائيّة وجدوا صيغة (فعل) تفيد الاستقبال في التحضيض والدعاء والشّرط مثلا، ولما كانت قواعدهم الّتي وضعوها عزيزة على أنفسهم لم يخطر ببالهم أن يعيدوا النّظر في نظام الزمن في ضوء مطالب السياق وساغ لهم في حرصهم على القواعد أن ينسبوا اختلاف الزمن إلى الأدوات فقالوا إنّ (لم) حرف قلب "[35]، " رغم أن الأداة لا يمكنها أن تفيد زمنا وإنّما يمكنها أن تفيد (الجهة) وهي تفيدها فعلا في حالة الجملة المنفيّة " [36] وإنّ "(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، ولست أدري لما أحجموا عن نسبة مثل هذا المعنى إلى(إن) الشرطيّة الّتي تتحوّل بعدها صيغة (فعل) إلى معنى الاستقبال" [37]، وخلاصة القول إنّ النحاة المتأخرين" لم يحسنوا النّظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي إذ كان عليهم أن يدركوا طبيعة الفرق بين مقررات النظام ومطالب السياق ثمّ أن ينسبوا الزمن الصرفي إلى النظام الصرفي وينسبوا الزمن النحوي إلى مطالب السياق "[38].

رابعاً : الفعل الماضي عند اللسانيين العرب المحدثين :

يعد الباحث إبراهيم السامرائي من اللّسانيين العرب المحدثين الّذين انتقدوا النحاة القدماء حيث دعا إلى ضرورة التمييز بين الزمن الصرفي للفعل والزمن النحوي الّذي يتّضح في الاستعمال، قائلا هذا الشّأنّ : " أبنية الفعل العربي لا تفصح عن الزمان كما تشير إلى ذلك مصطلحاتها، فقد عرفنا أنّهم قسّموا الفعل إلى ماض ومضارع...وأمر ...ولكن الفعل في الاستعمال تهيّأ له أن يجري في طريق آخر، فقد يشار ببناء (فعل) إلى غير الزمن الماضي" [39]، ثم يضيف في نفس السياق بأنّ ما يحدّد الزمن ليست صيغة الفعل وحدها وإنّما يتحصّل الزمن من بناء الجملة، فيقول في هذا الشّأن: " وقد أشرنا إلى أنّ بناء (فَعَل) وبناء

(يفعل) لا يمكن أن يدلّا على الزمان بأقسامه وحدوده ودقائقه، ومن هنا فإنّ الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغه، وإنّما يتحصّل الزمان من بناء الجملة فقد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة " [40]. والجدير بالذكر في هذا السّياق أنّ إبراهيم السامرائي قد انتقد كل النحاة القدماء المتقدمين منهم والمتأخرين ووضعهم في كفّة واحدة، وهو ما يُفهم منه عدم عودته إلى كتاب سيبويه، مثلما فعل عبد الرحمان الحاج صالح، وإنّما عاد إلى كتب النحاة المتأخرين فقط لذلك عمّم حكمه على كل النحاة.

وبعد أنّ أتمّ إبراهيم السامرائي التمييز بين الزمنين الصرفي والنحوي عرّف الفعل الماضي بأنّه حدث أنجز وتم في زمن ماض، قائلاً في هذا الشّأن " إنّ صيغة (فعل) وإن دلت دلالات عدّة في الإعراب عن الزمان، فهي في أغلب الأحوال تدلّ على حدث أنجز وتمّ في زمن ماض" [41]، وتدل عنده في أحوال أخرى على أزمان أخرى، حيث تشير إلى المستقبل وذلك في أسلوب الدعاء، وتعرب عن الزمن المستقبل كذلك إذا سبقت بـ (إذا)[42].

وهذا مهدي المخزومي الذي انتقد تقسيم النحاة القدماء للفعل واختلاف صيغه بناء على أقسام الزمان، قائلا: " ...فالنحاة إذن كانوا قد بنوا تقسيمهم للفعل، واختلاف صيغه على أقسام الزمان، وخصّوا كل صيغة بزمان معيّن، فإذا حاولوا تطبيق صيغ الفعل على أقسام الزمان، واجهتهم أمثلة لا تقع تحت حصر تستعصي على التطبيق، فاضطرّوا إلى التّأويل والاعتذار عن هذا الاستعمال، أو ذاك بإجابات تنطوي على كثير من التمحل والتّكلف، والتوجيه البعيد عن طبيعة اللّغة " [43]، فالزمن الماضي بناء على تقسيم النحاة المتأخرين يجب أن تعبّر عنه صيغة (فعل)، في حين أنّ صيغة (فعل) قد تدلّ على الزمن الماضي وقد تدلّ على أزمان أخرى، يقول مهدي المخزومي في هذا الشّأن: "...فالنحاة القدماء كانوا...بعيدين عن إدراك ما يدلّ عليه بناء (فعل) من دلالات مختلفة كانت الدلالة على وقوع الحدث في الماضي واحدة منها، ولم ينجحوا في تصوّر أنّ الزمن النحوي ليس كالزمن الفلسفي يدلّ على المضي والحضور والاستقبال، ولكنّه صيغ تدلّ على وقوع أحداث في مجالات زمنيّة مختلفة، ترتبط ارتباطا كليّا بالعلاقات الزمنيّة عند المتكلّم، أو بغيرها من الأحداث الّتي تقاربها في الموقع، هذه العلاقات الّتي تحدّد المجال الزمني الّذي يقع فيه الفعل الماضي، أو صيغة (فعل)، ولو كان النحاة قد نجحوا في تصوّر ذلك لكان عملهم أقرب إلى طبيعة اللّغة، وألصق بدراسة النحو"[44]، فالدكتور مهدي المخزومي ميّز هنا بين الزمن الفلسفي المنقسم إلى ثلاثة أزمان وهي : الماضي والحاضر والمستقبل، وبين الزمن النحوي الّذي هو

أبنية، أو صيغ تدل على وقوع حدث في أزمان متعدّدة حيث يعتبر الزمن الماضي هو إحدى دلالات وقوع الحدث في صيغة (فعل) وليس كل الدّلالات.

وتجدر الإشارة في هذا الشّأن إلى أنّ مهدي المخزومي حينما انتقد كل النحاة القدماء لم يعد إلى كتاب سيبويه كما فعل عبد الرحمان الحاج صالح شأنه في ذلك شأن إبراهيم السامرائي، ولذلك عمّم حكمه النقدي على كل النحاة القدماء.

وعندما انتهى مهدي المخزومي من نقد النحاة القدماء، وكذا التمييز بين الزمن النحوي والزمن الفلسفي انتقل إلى تعريف الفعل الماضي قائلا : " الفعل الماضي –كما تدلّ عليه التسمية – ينبغي ألا يستعمل إلّا في الماضي، ولكن واقعه في الاستعمال يخالف ذلك، فقد أثبتنا الأمثلة الكثيرة الّتي تبيّن ماله من دلالات لا تقتصر على وقوع الحدث في الزمان الماضي، ولكن دلالته هذه كانت فيما مثلنا إحدى دلالاته الكثيرة، فقد دلّ في بعض استعمالاته على وقوع الحدث حال زمن التكلم، كما في قول البائع: بعتك، والمشتري: قبلت، مع أنّ الفعل في إعرابه: فعل ماض، وهم يعرفون الماضي بأنّه ما دلّ على حدث مضى قبل زمن التكلّم" [45]، فبناء (فعل) عنده لا يقتصر على الدلالة على الزمان الماضي فقط فقد يدلّ على" وقوع الحدث في غير الزمان الماضي، أو لا يدلّ على زمان حقيقي، كالفعل الماضي بعد (إذا) و(لو) في الشرط...، وقد يدلّ على أنّ الحدث الّذي يعبر به عن وقوعه لا يقع في زمان بعينه، ولكنّه مؤهّل للوقوع في جميع الأزمان، الماضي، والحاضر والمستقبل " [46].

أمّا تمام حسان فحدّ الفعل تحديدا يختلف تماما عمّا قاله النحاة المتأخرون، حيث حدّه قائلاً: " الفعل يمتاز عن كل ما عداه من أقسام الكلم، من حيث استقلاله بصيغة معيّنة، ومن حيث استقلاله بقبول الجزم لفظا أو محلّا، ومن حيث استقلاله بقبول الدخول في جدول إسنادي، ومن حيث تفرّده بقبول إلصاق ضمائر الرّفع المتّصلة به، ومن حيث التضام مع كلمات أو عناصر لا تضام غير الأفعال، ثم من حيث اقتصاره على أداء وظيفة المسند في السياق وقصوره عن أداء وظيفة المسند إليه " [47] ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أنّ تمام حسان لم يحد الفعل بناء على الزمن مثلما فعل معظم النحاة المتأخرون، وإنّما حدّه من خلال التضام والإلصاق، والإسناد ...إلخ، وعندما لم يتطرّق تمام حسان إلى مسألة الزمن ليس تجاهلا منه، وإنّما التفت إلى هذا الأخير بكيفيّة تنم عن فطنة وبراعة كبيرتين، حيث برع في التفريق بين الزمن والزمان من جهة، وبين الزمن الصرفي والزمن النحوي من جهة أخرى – ولعلّه أوّل من استعمل هذه المصطلحات وقام بهذا التفريق في اعتقادنا– فالفرق بين الزمن والزمان عنده " أنّ الزمان كميّة رياضية من

كميات التوقيت تقاس بأطوال معيّنة كالثواني والدقائق والساعات واللّيل والنهار ولأيام والشهور والسنين والقرون والدهور والحقب والعصور فلا يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة، ولا في تحديد معنى الصيغ في السياق، ولا يرتبط بالحدث كما يرتبط الزمن النحوي إذ يعتبر الزمن النحوي جزءا من معنى الفعل " [48]، ومنه فهناك فرق بين زمان الأوقات والزمن الموجود في الصيغة سواء أكانت هذه الصيغة منفردة خارج السياق أو موجودة في سياق معيّن، أمّا الفرق بين الزمن الصرفي والزمن النحوي عنده فهو أنّ معنى الزمن " يأتي على المستوى الصرفي من شكل الصيغة وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أنّ الزّمن هنا وظيفة الصيغة المفردة ومعنى أنّ الزّمن يأتي على المستوى النحوي من مجرى السيّاق أنّ الزمن في النحو وظيفة السياق وليس وظيفة صيغة الفعل، لأنّ الفعل الّذي على صيغة فَعَلَ قد يدلّ في السياق على المستقبل " [49].

ومن خلال هذا التفريق يتّضح أنّ تمام حسان يدعو إلى النظر في السياق للكشف عن الزمن، ولأن السياق يكون في الجملة، فدعا بذلك إلى النظر في أنواع مباني الجملة، ولأنّ الجملة قد تكون خبرية (مثبتة، منفية، ومؤكّدة)، أو إنشائية، فدعا إلى النظر في زمن كل فرع من فروع الجملتين، ولأنّ صيغة الفعل وحدها تدل على زمن وحدث عامين غير مخصّصين، فإنّ الجهة aspect عنده " تخصيص لدلالة الفعل ونحوه إمّا من حيث الزمن وإمّا من حيث الحدث " [50]، كما أنّ هذه الجهات بالإضافة إلى تخصيص الزمن بين الأزمان الأخرى، فهي عنده تكشف عن تفريعات زمنية عديدة في الزمن الواحد، ولأنّ هناك جهات عديدة لتقييد معنى الزمن، فقد عدّد تمام حسان المباني الدالة على الجهات الزمنية في قوله : " هي في جملتها أدوات ونواسخ وقد عدّدنا منها قد ولم ولما ولن ولا وما والسين وسوف وكان ومازال وظلّ وكاد وطفق وفوق كل ذلك تلعب الظروف الزمانية دورها الهام جدا في هذا المجال بتخصيص الزمن النحوي " [51].

هذا وقد وصل تمام حسان إلى أنّ الجملة الخبرية المثبّتة والجملة الخبرية المؤكّدة لا فرق بينهما في الزمن، حيث تظلّ صيغة (فعل) دائما للماضي وأنّ الفرق بينهما يكون في التّأكيد من عدمه، أمّا الجملة الخبرية المنفيّة فإنّ الغالب فيها هو" استعمال الفعل المضارع للدلالة على الزمن الماضي"[52]، أمّا بخصوص الجملة الإنشائيّة فقد وصل إلى أنّ الجملة الإنشائيّة الاستفهاميّة " تتوافق فيها دلالة صيغة (فعل) صرفيا ونحويا " [53] سواء أكانت الجملة الاستفهامية مبنية على الإثبات أم على النفي، وتبقى كل حالة منها على حالتها

قبل وضع الأداة من حيث الدلالة الزمنيّة، أمّا في الجمل الإنشائيّة الأخرى فوصل إلى أنّ "صيغة فعل تستعمل باطّراد لتدلّ على الحال أو الاستقبال وذلك في التحضيض والتمني والترجي والدعاء والشّرط"[54].

وهكذا وبعد أن عرضنا لتصورات النحاة المحدثين للفعل بصفة عامة والفعل الماضي بصفة خاصة الدّاعيّة إلى النّظر في السياق للكشف عن زمن الفعل، وأنّ زمن الفعل لا يتّضح ولا ينكشف إلّا من خلال الاستعمال، لا من خلال وجود الصيغة مفردة خارجة عن السياق، فيمكننا القول إنّهم أصابوا في ذلك كثيرا، وهذا ما قاله سيبويه بأنّ الفعل الماضي حدث منقطع حين وقوعه، فالنّصف الثاني من العبارة (حين وقوعه) معناها في أي زمن كان وليس في الزمن الماضي فقط، وهذا مالم يقله النحاة المتأخرون الّذين جاؤوا بعد سيبويه والّذين خصّوا كل صيغة بزمان معين لتأثّرهم بالمنطق الأرسطي، أمّا النّصف الأول من العبارة ألا وهو كلمة (منقطع) من قوله سيبويه (حدث منقطع) فلم يدركها النحاة المحدثون في اعتقادنا ولم يفهموها وربما نسبوا كلمة (منقطع) إلى الزمن لا إلى الحدث، وهو ما يتّضح في كلام تمام حسان عن الزمن وخاصة عندما يستعمل عبارتي: (الزمن المنقطع البعيد) و(الزمن المنقطع القريب)[55] .

خامساً : دراسة تحليليّة نقديّة لقاعدة الفعل الماضي المبرمجة في كتاب اللّغة العربيّة للسّنة الأولى من التعليم المتوسّط :

بعدما انتهينا من عرض تعريفات وتحديدات الفعل الماضي عند كل من سيبويه، والنحاة المتأخرين الّذين جاؤوا بعده وصولا إلى مفهومه عند اللّسانيين العرب المحدثين، سننتقل الآن إلى إبراز تعريف الفعل الماضي الموجود في الكتاب المدرسي، لنجيب عن أهم الإشكالات المطروحة في مقدّمة البحث، وبعودتنا إلى كتاب اللّغة العربيّة للسّنة الأولى متوسّط المعنون بـ : " كتابي في اللّغة العربيّة " وجدنا أنّ قاعدة الفعل الماضي مصوغة على الشّكل الآتي :" الفعل الماضي هو ما دلّ على وقوع الفعل في زمن مضى" [56] وهنا يتبيّن لنا مباشرة ونحن بصدد الإجابة على إشكالات البحث أنّ مؤلّفي كتاب اللّغة العربيّة للسّنة الأولى متوسط اعتمدوا في تأليفهم للكتاب المدرسي في جانبه القواعدي النّحويّ، و(تحديدا قاعدة الفعل الماضي) على كتب النّحاة المتأخرين مثل: (ابن السراج، وابن يعيش، وابن هشام، وابن الحاجب...وغيرهم)، ولم يعودوا إلى كتب النحاة المتقدمين ككتاب سيبويه، أو كتب اللسانيين العرب المحدثين في قضيّة التمييز بين الزمن النحوي والزمن الصرفي، فوقعوا بذلك في نفس الخطأ الّذي وقع فيه النحاة المتأخرون فبوصفهم الفعل الماضي (ما دلّ على وقوع الفعل في زمن مضى) قد أحالوا من جهات عديدة هي:

1- قولهم : إنّ الفعل ما دلّ **على وقوع الفعل** : وتبسيط الأمر بهذه الصورة يُخِلُّ بالمفهوم العلمي للفعل الماضي لأنّ الفعل عبارة عن حدث حين وقوعه منقطعا أو غير منقطع، والفعل الماضي حدث منقطع حين وقوعه مثلما رأينا عند سيبويه، وليس معناه (وقوع الفعل)،كما عبّر عنه مؤلفو الكتاب المدرسي لأنّ (وقوع الفعل) ليس معناه انقطاع الحدث، فالفعل قد يقع ولا ينقطع مثل الفعل المضارع، في حين أنّ الفعل الماضي حدث يقع وينقطع، لذلك كان على معدّي الكتاب المدرسي أن يستعملوا عبارة سيبويه ألا وهي أنّ (الفعل الماضي حدث منقطع حين وقوعه)، وليس (الفعل الماضي ما دلّ على وقوع الفعل .

2- قولهم : الفعل الماضي ما دلّ على وقوع الفعل في **زمن مضى** : وهنا لا أتطرّق إلى الملحظ السابق وإنّما أتطرّق إلى الدلالة الزمنيّة للفعل الماضي، فقد جاء في الكتاب المدرسي أنّ الفعل الماضي يدلّ على الزمن الماضي، في حين رأينا أنّ الفعل الماضي عند سيبويه عبارة عن حدث منقطع حين وقوعه، وعبارة سيبويه (حين وقوعه) معناها في أي زمان، فقد ينقطع الفعل الماضي، أو صيغة (فعل) في الزمن الماضي إذا تجرّد من الزوائد والقرائن الّتي تغيّر زمن انقطاعه وذلك أصله الوضعي، وقد ينقطع في الحاضر، أو المستقبل إذا دخل عليه ما يغيّر زمن انقطاعه، مثل قولنا: (جاء مُحَمَّد الآن)، وقوله تعالى:(إذا جاء نصر الله)، وهنا يدلّ على زمن آخر فرعي استعمالي، ومن خلال هذا العرض يتّضح أنّ مؤلّفي الكتاب المدرسي اعتمدوا في صياغة قاعدة الفعل الماضي وتحديدا دلالته الزمنيّة على النحاة المتأخرين الّذين تأثّروا بمنطق أرسطو بتخصيصهم كل فعل بزمن معيّن ومنه تخصيص الفعل الماضي للدلالة على الزمن الماضي، ولم يعودوا إلى كتب النحاة المتقدّمين مثل كتاب سيبويه، ولا إلى كتب اللسانيين العرب المحدثين، كما أنّه كان عليهم أن يفرّقوا بين دلالة الفعل الماضي على الزمن الماضي وتلك دلالته الأصليّة، ودلالة الفعل الماضي على الأزمان الأخرى، وتلك دلالته الفرعيّة المحوّلة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى إنّ ما يقع في **الزمن الماضي** من الأفعال ليس الفعل الماضي فقط، أو صيغة (فعل) وحدها، وإنّما يدلّ الفعل المضارع، أو صيغة (يفعل) كذلك على الزمن الماضي إذا سُبق بـ (لم) و(لما) الجازمتين، وفي حالات استعمالية أخرى كثيرة، لذلك كان على معدّي الكتاب المدرسي أن لا يخصصوا الزمن الماضي للفعل الماضي فقط، وإنّما يخصّصونه لصيغة (يفعل) كذلك، وربما لصيغ أخرى أيضا، ولعلّ تخصيصهم صيغة (فعل) أو الفعل الماضي فقط للتعبير عن الزمن الماضي راجع لأنهم اعتمدوا على الكتب النحويّة التعليميّة الّتي وضعها النحاة المتأخرون والّتي تأثّر أصحابها بمنطق أرسطو كما قلنا سابقا، حيث لم يميّزوا فيها بين الزمن الصرفي المجرد من السياق والزمن النحوي السياقي الاستعمالي

للفعل من خلال تواجد الفعل في تراكيب لغويّة معيّنة توجّهه إلى دلالة أخرى فرعيّة غير دلالته الأصليّة الإفراديّة، ولذلك كان على مؤلّفي الكتاب المدرسي أن يعلموا أنّ زمن الفعل يتحدّد وينكشف في السياق من خلال ما يسبقه وما يليه، وليس مفردا منعزلا عن السياق.

3– من خلال صياغة قاعدة الفعل الماضي يتّضح أنّ مؤلّفي الكتاب المدرسي قد حدّدوا القاعدة بناء على المعنى فقط دون اعتبار الجانب اللفظي المتمثّل فيما يدخل على الفعل " من زوائد معيّنة كـ: قد ... ويتّصـــل به الضمير في بعض صيغه)"[57] رغم أنّ " اللّفظ هو الأول لأنّه هو المتبادر إلى الذهن أوّلا ثم يفهم منه المعنى "[58]، ويترتب على ذلك أنّ قاعدة الفعـــل الماضي يجب أن تنطلق "من اللّفظ في أبسط أحواله وهو الأصل (الّذي ليس فيه زيادة ولا علامة له بالنسبة إلى ما يبنى عليه)"[59] .

4– قاعدة الفعل الماضي الموجودة في الكتاب المدرسي تركّز على الوضع فقط دون الاستعمال وذلك لأنّها مأخوذة من الكتب التّعليميّة للنحاة المتأخرين الّذين غلبت عليهم النزعة التعليميّة من جهة، وتأثروا بالمنطق الأرسطي من جهة أخرى، فهي بذلك تعمل على تحقيق الملكة اللّغويّة فقط دون الملكة التبليغيّة ومنه فهي تتناقض مع ما جاء في المنهج التّواصلي من أنّ الهدف من تدريس القواعد النحويّة هو تحقيق الملكة التبليغيّة التواصليّة الّتي تمكّن المتعلّم من "استعمال اللّغة في شتى الظروف والأحوال الخطابية" [60] ولو أخذ مؤلّفو الكتاب المدرسي قاعدة الفعل الماضي من نحاتنا المتقدّمين لوجدوا أنّها تخدم الملكة التبليغيّة وتعمل على تحقيقها لأنّ أصحابها دائما يحدّون القاعدة من جانبين اثنين ألا وهما : (جانب الوضع) من خلال التركيز على السلامة التركيبية ومطابقة الكلام لما تواضع عليه أبناء اللغة، و(جانب الاستعمـال) من خلال ربط القاعدة (الكلام) بسيـاق الحال و(مقاصد الكلام) فهذا سيبويه مثلا وبعد أن يحدّ الفعل الماضي من جهة الوضع بوصفه بناء، يذهب بعدها إلى تحديده من جهة الاستعمال أي من خلال ربط القاعدة (الكلام) بالسياق الّذي تقال فيه فيقول– مثلاً– متحدّثاً عن الفعل: " إذا حدّثت عن فعل (أي حدث) في حين وقوعه " [61] : فعبارة في (حين وقوعه) معناهما في أي زمان وقع فيه الفعل الماضي فعلا في واقع الخطاب، وهذا الاهتمام بالجانب الاستعمالي للكلام في واقع الخطاب بالإضافة إلى الجانـب البنوي اللّفظي له فائدة جليلة في تدريس القواعد النحويّة من خلال الربط بين علمي النّحو والبلاغة لما يحقّقـــه من ملكة تبليغيّة تمكن المتعلميـــن من التّحدث " مشافهة وتحريرا بحسب ما تقتضيه الظروف والأحوال الخطابيّة "[62].

ومن خلال كل هذه الأخطاء والنقائص الّتي شملتها قاعدة الفعل الماضي الموجودة في كتاب اللّغة العربيّة للسنة الأولى من التعليم المتوسّط يمكن القول أنّ مؤلّفي الكتاب المدرسي لم يوفّقوا في نقل قاعدة الفعل الماضي من بيئته الأصليّة إلى الكتاب المدرسي، وسبب وقوعهم في هذه الأخطاء هو عدم رجوعهم إلى كتب النحاة المتقدّمين مثل كتاب سيبويه، والاكتفاء بكتب النحاة المتأخرين، ولو عادوا إلى كتاب سيبويه لما وقعوا في مثل هذه الأخطاء، لأنّ نحو سيبويه يمثل مرحلة النّحو العربي الأصيل الّذي لم يتأثّر بمنطق أرسطو عكس النحاة المتأخرين الّذين جاؤوا بعده، ومن خلال الأخطاء الّتي وقع فيها معدّو الكتاب المدرسي ارتأينا أن نقترح قاعدة أخرى للفعل الماضي بناء على جهاز النقل الديداكتيكي وبالعودة إلى كتاب سيبويه موجّهة إلى متعلّمي السّنة الأولى من التعليم المتوسّط محدّدة كالآتي: **الفعل الماضي :حدث منقطع حين وقوعه، فقد ينقطع الحدث في الزمن الماضي إذا لم يدخل عليه ما يغيّر زمن انقطاعه وذلك هو أصله كقولنا:** (جاء مُحَمَّد)، **وقد ينقطع في الحاضر أو المستقبل إذا دخل عليه ما يغيّر زمن انقطاعه من أدوات وقرائن وذلك هو فرعه كقولنا:** (جاء مُحَمَّد الآن)، **وقوله عزّ وجلّ:** (إذا جاء نصر الله)، وفيما يلي توضيح أكثر من خلال المخطّط البياني الآتي:

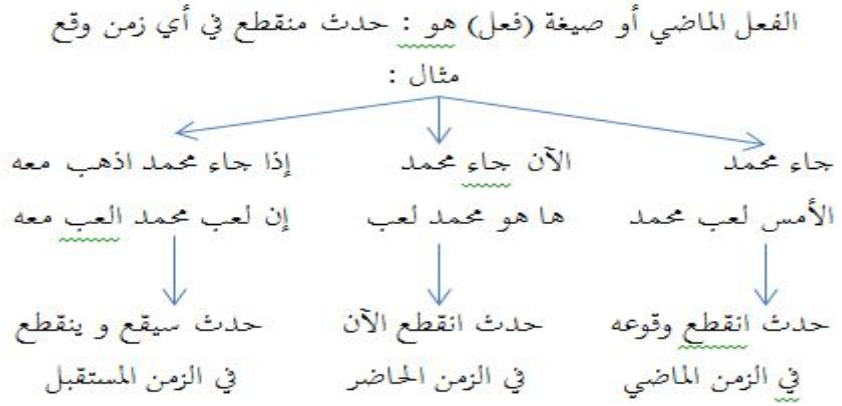

ومن خلال ضرب الأمثلة التطبيقيّة للمتعلّم باستطاعته أن يتمثّل هذه القاعدة في ذهنه ويفهمها.

خاتمة :

في الأخير يمكن القول أنّه وبالرغم من المكانة الهامة الّتي يحظى بها جهاز النّقل الديداكتيكي في عمليّة إعداد البرامج والمناهج والكتاب المدرسي...إلخ بوصفه تلك العمليّة الّتي تنقل المعرفة من مجالها العلمي الأكاديمي إلى المجال التعليمي الخالص، نقلا ديداكتيكيّا سليما يخلو من التناقضات والأخطاء، لا يمس بجوهر المعرفة العالمة، إلّا أنّه وعند قراءتنا للقاعدة النحويّة للفعل الماضي في كتاب السّنة الأولى من التعليم

المتوسّط وجدنا أنّها تحوي الكثير من الأخطاء كنّا قد فصلناها سابقا هذا ما يجعلنا نحكم على أنّ عمليّة النّقل الديداكتيكي لم تكن عمليّة ناجحة تماما، إذ لم يتمثّل مؤلّفو الكتاب المدرسي وواضعو قواعده المفهوم العلمي للفعل الماضي أوّلا، ولم يوفقوا في نقله ديداكتيكيّا من الكتب العلميّة إلى الكتاب المدرسي ثانيا، ويعود السبب في ذلك إلى أنّهم لم يعودوا إلى كتب النحاة المتقدّمين مثل كتاب سيبويه وإنّما لجؤوا إلى كتب النّحاة المتأخرين الّذين جاؤوا بعده ممّن تأثّروا بمنطق أرسطو من جهة وغلبت عليهم النزعة التّعليميّة من جهة أخرى، والّتي تعتبر كتبهم منقولة ديداكتيكيّا عن (كتاب سيبويه)، ومنه فهم لم يعودوا إلى البيئة الأصليّة لظهور الفعل الماضي، وإنّما نقلوا النّقلَ فقط من خلال الاكتفاء باللّجوء إلى كتب النحاة المتأخرين الّذين جاؤوا بعد سيبويه لذلك لم يفلحوا في نقل قاعدة الفعل الماضي نقلا صحيحا، وكانت عمليّتهم النّقليّة خاطئة قاصرة، مَسُّوا فيها بجوهر المعرفة، وهذا ما يجعلنا ندعو مؤلّفي ومعدّي الكتاب المدرسي إلى تغيير قاعدة الفعل الماضي الموجودة في كتاب اللّغة العربيّة للسّنة الأولى من التّعليم المتوسّط، واستبدالها بالقاعدة الّتي اقترحناها سابقا.

هوامش :

1- ينظر : أحمد حساني : التّرجمة و تعدّد الألسن بين اللّسانيات التقابليّة و تعليميّة اللّغات، مجلة المترجم، العدد:7، يناير-جوان2003، ص143.

[2]- voir: Y.CHevallard. la tronsposition didactique du savoir savant au savoir enseigné; Grenoble la pensée savage , 1985 , (Réédition augmentée 1999).

[3] – محمّد محمود، المعرفة بين خطابي النقل الديداكتيكي و التبسيط العلمي، منشورات الجمعية المغربية لمفتشي التعليم الثانوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص21.

[4] – عبد الرحمان التومي، الجامع في ديدكتيك اللّغة العربيّة، مفاهيم، منهجيات، و مقاربات بيداغوجيّة، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ط2، 2016، ص 16.نقلا عن Blanchet Philippe , les tansposition didactiques ,2011,P.198, In Blanchet Ph.et CHARDENET ,P.,Guide pour la recherche didactique des langues et des cultures. Approches contexyualisées,les Archives contempo-raines ,Paris,P.P.197-202.

[5] – علي آيت أوشان، اللسانيات و الديداكتيك ، نموذج النّحو الوظيفي من المعرفة العلمية إلى المعرفة المدرسية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2005، ص 32، نقلا عن J.P.Astolfi et M.Develay:la didactique des sciences k que sais-je ? PUF , Paris ,P39

[6] – عبد الرحمان التومي، الجامع في ديدكتيك اللّغة العربيّة، مفاهيم، منهجيات، و مقاربات بيداغوجيّة، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ط2، 2016، ص 16.نقلا عن Cornu,Laurence et VERGNIOUX,Alain ,ladidactique en question , Paris , Hachette Education ,1992 ,P 61

[7] – عبد الرحمان التومي، الجامع في ديدكتيك اللّغة العربيّة، مفاهيم، منهجيات، و مقاربات بيداغوجيّة، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ط2، 2016، ص 16

[8] – عبد الرحمان التومي ، المرجع نفسه ، ص16 .

[9] – علي آيت أوشان ، المرجع نفسه ، ص 36.

[10] – عبد الرحمان الحاج صالح، الخطاب و التخاطب في نظرية الوضع و الاستعمال العربيّة، سلسلة علوم اللّسان عند العرب، منشورات المجمع الجزائري للّغة العربيّة، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، وحدة رغاية، الجزائر، ط1، 2013.ص97.

[11] – سيبويه ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 126.

[12] – سيبويه ، المرجع نفسه ، ص 82 .

[13] – سيبويه ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص15.

[14] – عبد الرحمان الحاج صالح ، المرجع نفسه ، ص97.

[15] – سيبويه ، المرجع نفسه ، ص15.

[16] – سيبويه ، المرجع نفسه ، ص21.

[17] – عبد الرحمان الحاج صالح ، المرجع نفسه ، ص97.

[18] – سيبويه ، المرجع نفسه ، ص15.

[19] – عبد الرحمان الحاج صالح ، المرجع نفسه ، ص98 .

[20] – عبد الرحمان الحاج صالح ، المرجع نفسه ، ص98 .

[21] – عبد الرحمان الحاج صالح ، المرجع نفسه ، ص98 .

[22] – عبد الرحمان الحاج صالح ، المرجع نفسه ، ص99.

[23] – ابن السراج ، الأصول في النّحو ، النجف ، مطبعة النعمان ، 1973 ، تحقيق الدكتور ، عبد الحسين الفتلي ، ص1.

[24] – ابن السراج ، المرجع نفسه ، ص1.

[25] – الزمخشري ،المفصل في علوم العربيّة، دار الجبل، بيروت، ط2،ص243

[26] – الزمخشري ، المرجع نفسه ، ص 243 .
[27] – ابن الحاجب ، الكافية في النّحو ، مطبعة الحلبي ، ط4 ، مجموع مهمات المتون 1949 ، ص 415 .
[28] – ابن الحاجب ، المرجع نفسه ، ص 415.
[29] – ابن عصفور علي بن مؤمن ، المقرب ، بغداد ، مطبعة العاني ، الطّبعة الأولى 1971 م، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري،و عبد الله الجواري، ص1
[30] – ابن يعيش ، المرجع نفسه ، ص7 .
[31] – ابن يعيش ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص4 .
[32] – ابن يعيش ، المرجع نفسه ، ج4 ، ص7 .
[33] – عبد الرحمان الحاج صالح ، المرجع نفسه ، ص97 .
[34] –مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه ، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986، ص 206 .
[35] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص243 .
[36] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص243 .
[37] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص243 .
[38] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص 243 .
[39] –إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه و أبنيته، مطبعة العاني ، بغداد، 1966 ،ص27
[40] – إبراهيم السامرائي ، المرجع نفسه ، ص 27.
[41] –إبراهيم السامرائي ، المرجع نفسه ، ص 28.
[42] – ينظر : إبراهيم السامرائي ، المرجع نفسه ، ص 24.
[43] – مهدي المخزومي ، المرجع نفسه ، ص 144 .
[44] – مهدي المخزومي ، المرجع نفسه ، ص 144 .
[45] – مهدي المخزومي ، المرجع نفسه ، ص 144 .
[46] – مهدي المخزومي ، المرجع نفسه ، ص 153 .
[47] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص108 .
[48] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص242 .
[49] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص104 .
[50] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص157 .
[51] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص257 .
[52] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص247 .
[53] – تمام حسان ، المرجع نفسه ، 249 – 250 .

[54] – ينظر : تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص251 .

[55] – تمام حسان ن المرجع نفسه ، ص 240 و ما بعدها .

[56] – وزارة التّربيّة الوطنيّة ، كتابي في اللّغة العربيّة ، السنة 1متوسّط ،موفم للنّشر، الجزائر2016، ص17.

[57]– الحاج صالح عبد الرحمان ،(2007) بحوث و دراسات في اللّسانيات العربيّة، ج01، منشورات المجمع الجزائري للّغة العربية ، موفم للنّشر ، الرغاية ، الجزائر ، ص 219 .

[58]– الحاج صالح عبد الرحمان، المرجع نفسه ، ص219 .

[59]– الحاج صالح عبد الرحمان، المرجع نفسه ، ص219.

[60]–الحاج صالح عبد الرحمان، المرجع نفسه ، ص174–175

[61] – سيبويه ، المرجع نفسه ، ص 82 .

[62]– إبرير بشير23– 24 أفريل 2001 ، استراتيجيّة التّبليغ في تدريس النحو ، أعمال ندوة تيسير النحو، المكتبة الوطنية بالحامة، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة ، الجزائر ، ص 476 .